يوم عرفة منطلق الرحلة الى الله المرجع المدرسي

يوم عرفة منطلق الرحلة الى الله

المرجع المدرسي

في ليلة عرفة تهب نسمات الرحمة الإلهية على المؤمنين جميعاً وفي كل مكان، ولا سيما على حجاج بيت الله الحرام؛ فهذه الليلة هي ليلة مباركة بذاتها كما هي ليلة الجمعة، بل أعظم وأفضل، بالأخص إذا ما عرف الحاج أن روايات عديدة عن أئمة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام قد وردت بشأن تبيين أعمالها الخاصّة.

أما بالنسبة إلى الحجاج؛ فتعتبر هذه الليلة العظيمة بداية انطلاقة نحو رحلة إلهية وعرفانية عظيمة، وهي رحلة الحج الأكبر.

ترى ما هي أهم الأعمال في هذه الليلة بالنسبة إلينا كحجاج؟

إن علينا أن نتهيّأ نفسياً لهذا العمل الكبير، وهو الوقوف في عرفات وما يرتبط به من أبعاد وآفاق روحانية متعالية، تماماً كما الإنسان الذي يتهيّأ لإقامة الصلاة بإسباغ الوضوء واستقبال القبلة والتوجه إلى الله سبحانه وتعالى، وترك الدنيا وراءه ظهرياً، فضلاً عن إحراز طهارة اللباس والمكان، وإحراز عدم مغصوبيتهما.

ومن التهيؤ النفسي في ليلة عرفة توفر النية الخالصة والواعية لدى الإنسان؛ بمعنى عقد العزم عن جعل حجه لهذا العام حجّاً نموذجياً واستثنائياً. وبالتأكيد لا نقصد بذلك مسائل الحج المادية، بل الناحية المعنوية هي المقصود من كلامنا وبحثنا هذا. فالمطلوب من الإنسان في هذه الحياة الدنيا هو التطور في كل المجالات، ولابد له من أن يقفز بمستواه الروحي، وإلا فإن حياته ستكون محكومة بالنقصان والفقر.

والحاج الذي يريد لحجه أن يكون حجاً نموذجياً، عليه أن يبذل كل جهده لأن يصل في يوم عرفة إلى الذروة، ، حيث يقر ويعترف اعترافاً كاملاً بأنه عبد مخطئ فقير وأن الله سبحانه وتعالى رب غفور وكريم. فهذه المعادلة التي لابد من رسوخها في ذهن الإنسان الحاج هي ما يمكن أن نسميها بذروة العرفان بنفسه وبربه.. أما من يخامره الشك ولو بنسبة ضئيلة بأنه مخطئ فإن استغفاره وعبادته لن يكونا سوى كلمات وحركات مملة ورتيبة وقاصرة عن إيجاد التحول النفسي والمعنوي في الإنسان. في حين نجد الإنسان المؤمن تملؤه الضراعة والاعتراف بحقيقة نفسه، فيستغفر ربه ويتوجه إليه لأنه يعرف حقيقة ذاته وخطئها وفقرها، وعليه فإنه على قناعة كافية بتقصيره تجاه ربه عز وجل؛ بل وحتى الأنبياء والأئمة عليهم الصلاة والسلام، وهم الذين نعتقد بعصمتهم كانوا يستغفرون ربهم ويتضرعون إليهم، ليس لتعليم وتوجيه أتباعهم فحسب، بل وكانوا أيضاً يعتقدون التقصير في أنفسهم وما كانوا يتعبدون به، بالإضافة إلى ما كانوا يعرفونه ويعترفون به من عظمة وجلال الله وكبريائه، فكانوا في داخل أنفسهم في حالة ندم واستغفار وإحساس بالتقصير.. فكانوا عليهم السلام كلما ازدادوا عبادةً ازدادوا معرفة بربهم من جهة، وشعوراً بالفاصلة بين عبادتهم وبين فضل الله وعظمته وكبريائه.

والحاج أيضاً إذا أراد الوصول إلى الذروة العرفانية في يوم عرفة عليه أن يصل إلى القناعة المطلقة

بالتقصير تجاه الله سبحانه وتعالى، ولن يصل أحد إلى هذه القناعة ما لم يتوجه توجهاً تاماً إلى عظمة وجلال ربه.

إن الأمر المؤكد هو أن لله نفحات على عباده في يوم عرفة، ولن يستقبل هذه النفحات إلا ذوو القلوب المتفتحة والعامرة بذكر الله؛ والأمر هذا يشبه إلى حد كبير نوعية استفادة واستقبال هذه الأرض أو تلك لماء المطر، حيث نرى أرضاً صلدة لا يؤثر فيها الماء النازل رغم غزارته، بينما نرى أرضاً مستعدة لاستقباله، فتهز وتربو وتنمو فيها النباتات.

وعليه فإن نفحات الله في يوم عرفة من طبيعتها النزول على القلوب الظمأى التي تشعر شعوراً واعياً بحاجتها إلى الرحمة الإلهية، وتحرص كل الحرص على التعرض لها.

وبين هذا وذاك يواجهني بعض الإخوة ببعض التساؤلات، ومن جملتها أنهم يريدون تلاوة هذا الدعاء أو ذاك في يوم عرفة أو غيره، ولكنهم لا يتحسسون تلك الحالة الروحانية والعرفانية التي يسمعون عنها، في حين أنهم يرون من حولهم من الحجاج تفيض أعينهم من الدموع وتستولي عليهم حالة الخشوع بمجرد قراءة دعاء أو تلاوة آية أو وقوفٍ في موقف أو أداء منسك.

وأقول لهم بأن عدم التحسس هذا لا ينبغي أن يدفع بصاحبه إلى حالة من اليأس، فهذه الحالة حالة طارئة. فمن لم تجر في عينه دموع الخشية، كان بمستطاعه التظاهر بالبكاء لإحراز الخشوع، وليس التظاهر القائم على أساس النفاق والرياء.

وأُضيف إلى ذلك أن حضور مجالس الدعاء والذكر، سواء في موسم الحج أو غيره من طبيعته تليين القلوب وإحيائها. فمجلس الدعاء والذكر وغير ذلك عبارة عن حلقة من سلسلة تحصيل العقيدة والخشوع، ولعل مجرد الحضور فيها وأخذ دور ما خلالها سيضفي على الإنسان هالة مقدسة من الروحانية والعرفان، نظراً إلى أن هذه المجالس هي مهابط رحمة الله تبارك اسمه ونزول الملائكة، وعندما تنزل وتحلّ ملائكة الرحمة فيها ستشمل جميع الجالسين والمشاركين، بغض النظر عمن دمعت عينه أو من لم تدمع عينه، هذا أولاً.

وثانياً: إن يوم عرفة على محدودية ساعاته، ولكنه يعتبر يوماً مصيراً بالنسبة للحاج الذي تحمل عناء السفر والغربة وامتنع عن المنا

هي المفروضة، لا سيما وأنه يفتقر إلى ضمانة أنه سيعود في السنة القادمة.

ثم إن الشيطان وأعوانه يضاعف من وساوسه إلى قلب الإنسان، لأنه على علم تام بعظمة مردود هذا اليوم عليه، وبالتالي فهو لا يضيع فرصة في محاولة إضلال الحاج وإقعاده عن الاستفادة من هذه الفرصة الثمينة. وهذا يعني ويشير إلى ضرورة حذر المؤمنين من أن يشغل نفسه في توافه الأمور، دون اغتنام هذه اللحظات المحدودة في يوم عرفة..

أما الأمر الثالث المهم؛ فهو أن الحاج في يوم عرفة عليه أن يعدّ العدّة لعرض جميع حاجاته على رب العزة سبحانه وتعالى الذي سمح له أن يتكلم معه ويناجيه مباشرة في تلكم اللحظات القدسية النادرة، وهذى لعمري نعمة كبرى لا تقدر بثمن. ولعل من أهم الحاجات التي ينبغي للحاج أن يطلبها من ربه هي أن يكون مقبولاً لديه ، وأن تستمر حالة الانفتاح بينه وبين الرب، لأن من خلال هذين المطلبين تفتح أمام الإنسان الكثير من المطالب والآفاق التي تضمن له السعادة في الدنيا والآخرة، ومن دونهما يكون محكوماً بالعودة إلى نفس العيوب والخمول والتكاسل عن ذكر ا. ولا يغيب عنا بأن الحاج إذا ما حصل على التحول المطلوب في عرفات، فإنه بفقدانه فيما بعد موسم الحج، إنما يعني انقطاع فوائد عن الإنسان.

من هنا أقترح أن يعود كل حاج من عرفة بهدية يهديها لنفسه، وهي أن يطلب إلى ربه التوفيق إلى أداء صلاة الليل في هذا العام حتى تكون ضمانة معنوية لصلاح أعمالنا وقربنا الدائم من ربنا الغفور الرحيم.